

ماذا تستطيع الفلسفة فعله في درء مخاطر الإرهاب؟

2016-02-17 د. زهير الخويلدي

"ضمن أية شروط يجد الفيلسوف ، في هذا الوضع، الإشارات لمشكلة جديدة ، لفكر جديد؟...أي وضع هو ذاك الذي يكون ، فعليا، وضعاً فلسفياً ، وضعاً للفكر الفلسفي؟" [1]

الفلسفة هي الرواق الفكري الذي يحتضن التنوع والاختلاف والتعدد ويسهر على العيش المشترك بين الذوات المتجسدة في العالم ويحقق التفاهم بين العقول الباحثة ويبني جسور التواصل بين الكائنات البشرية.

بيد أن الفلسفة تواجه هذه الأيام تحديات كبيرة وتقترب من مصيرها المحتوم وتعد نفسها في حضارة إقرأ لمعركة حاسمة مع الآلة الجهنمية التي تصنع ظاهرة الإرهاب وتجعلها نمطا مترحلا عبر العالم بأسره. إذ يتعرض النوع البشري إلى خطر إرهابي دائم وتنامي نزعات اليأس والتشاؤم وتفاقت الأزمة الروحية بعد فقدان الأمل وتكاثر موجات الانطواء على الذات من طرف الهويات والاثنيات وغطى العدم الحياة.

على هذا الأساس تبدو محاولات الفلاسفة والمفكرين والعلماء والباحثين والمثقفين ضرورة قصد إضاءة المناطق المظلمة من الحياة اليومية والتشهير بالفضيحة والعار والتدخل بغية معالجة الجروح والأسقام. من المعلوم أن مدينة الإسلام تجلت بصورة باكرة لما توجه مبلغ الرسالة من أم القرى إلى يثرب وأطلق عليها اسم المدينة وأخى بين سكانها من الأنصار والوافدين عليها من المهاجرين وكتب دستور للأمة يرسم علاقتها بغيرها وجعل من طلب العلم فريضة وكان يدعو بالحسنى والتراحم ويأمر بالعفو في كل فتح وينصح بالرفق والتعمير ويرفض العدوان والتخريب والثأر وانتصر إلى روح الحضارة على العادات.

من البديهي أن تمثل القراءة المتشددة غلوا في الشأن الديني وتشريعا للعنف والتدمير باسم العقيدة ومن المفروض أن تتباين القراءة المنفتحة معها وتعمل على مواجهتها بالحجة والحكمة

والعقل والقوة اللازمة.

من المعلوم أن حضارة إقرأ ليست امبراطورية قامت على الغزو بالقوة وحد السيف وتميزت بالاستبداد الشرقي كما تذكر الأدبيات الغربية بل هي حضارة علم ومدنية وأفادت كثيرا في خروج الغرب نفسه من التوحش إلى التحضر وساهمت مع جهود ثقافات أخرى في تطور العلوم وتشديد جملة من القيم الكونية.

علاوة على أن الإرهاب يمثل خطرا داهما على الدول والمجتمعات والأديان وينشر الفوضى والفقير ويفقد الشعوب سيادتها وييشر بنماذج حكم تتراوح ثقل أو تفوق عن نموذج الدولة ويعولم الفتن ويشعل الحروب.

إذا كان الإرهاب صناعة العولمة المتوحشة وأداة تستعملها الدول المهيمنة للاعتداء على الثقافات وتدنيس المقدسات ونهب خيرات الدول الفقيرة فإن الخيار المتبقي لحضارة إقرأ هو التخلص من شروط الاغتراب والعمل على تشريح التخلف والتدميرية والاعتصام بفلسفة المقاومة التي تنشر الأئسنة الثقافية ومبدأ الأمل.

كتاب مدنية الإسلام في مواجهة عولمة الإرهاب يتنزل في هذا السياق المناهض للهمجية والعنف والتسلط ويعارض الارتداد نحو الماضوية المقيتة والانغلاق والتعصب ويتصدى لكل محاولات الإلحاق والاختراق والذوبان في الآخر الامبريالي ويفكر بجدية في طبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب باحثا عن علاقة ندية بين العرب والعجم وبين البيان القرآني والمنطق الفلسفي ومحاولا تخطي الصراع نحو الاحترام المتبادل.

من شروط مقاومة الإرهاب هو التركيز على الأبعاد المدنية في الدين الإسلامي والكف عن الاستعمالات النفعية التي يستنجد بها دعاة السلطة والمنفعة في وضعيات تاريخية معلومة والقيام بنقد الأبعاد المشوهة والمظلمة التي كرسست الجمود وغلبت المطلقات والأحكام والحدود على الأبعاد الدنيوية ومقتضيات الحياة.

الخطوة الثانية هي التخلص من الإيديولوجيا واليوتوبيا في ذات الوقت في قراءة النصوص والكف عن إحياء التقاليد والانغلاق على التراث والتوجه نحو الانفتاح على العالم دون الوقوع في فخ استيراد نماذج حداثة مسقطة ومشاريع تنموية فاشلة والعمل على بناء حداثة خاصة بالسردية العربية والقصص القرآني.

الخطوة الإستراتيجية الثالثة هي تخليص الديمقراطية العربية من أمراضها الهيكلية والبحث عن شروط الانعتاق من التبعية الثقافية وتحقيق الاستقلال الحضاري للأمة وذلك بالابتعاد عن سياسة التدمير الذاتي والصراع على الوجود والإيمان بسياسة حفظ الكيان والمشاركة في الارتقاء بالوجود الجماعي للبشرية.

ينقسم الكتاب إلى بابين، يتضمن كل باب قرابة ستة عشر فصلا ، يدرس الباب الأول المعنون بمدينة الإسلام والانفتاح على العالم المسألة الحضارية ويهتم بالإسلام والعرب بين الوحي والتاريخ ويخوض في تفكيك صورته الخاطئة في الثقافة الغربية، أما الباب الثاني فقد جاء بعنوان الفلسفة والديمقراطية في مواجهة الإرهاب ويركز على عبثية العنف السياسي ويدعو إلى قيام سلم أهلي ضمن ثورة ثقافية تقوم بها الكتلة التاريخية التي تتكون من الحشود والمثقفين العضويين والتي تنشأ إرجاع الحقوق إلى أصحابها وتمكين الشعوب من تقرير مصيرها بنفسها ويدعو إلى التسليح بقيم العدالة والمساواة والحرية والاعتراف.

من المنطقي أن تشهد أمة إقرأ الاستئناف الحضاري والبدء الفلسفي الثاني وأن يتخلى الغرب عن مركزيته الحضارية وتتعدل الأمم المتنافسة ويتكافئ منطق المعرفة مع منطق المصلحة وتنتصر ثقافة الحوار على لغة الصراع وينتقل مدار صناعة الكونية من الغرب إلى الشرق مجددا وترسل شمس الضاد أنوارها على العالم وحركة التأويل في تجربة تنويرية كبرى تخطى كل حدود الملة وتلامس الجواهر الروحية الأخرى.

في المجمل ليس المطلوب راهنا أن يغير العرب والمسلمون من نظرتهم إلى الكون فقط ويسهلون عملية الاندماج مع بقية شعوب العالم فحسب وإنما أيضا أن يبادر الغرب بتغيير صورتهم النمطية وإسقاط عديد الأحكام المسقطة. كما أن الفلسفة قادرة أن تفعل الكثير في مجال مكافحة الإرهاب

وآآصءف للآلعاب بالعقول والعضو الآقافف والاعآراب الحضارف شرفة أن آملك كل آقوقها وأن فؤمن الناس بآفمآها فف آنوفر العمهور. فمآ نكف عن آرفد "أن القلب للشرق والعقل للغرب" ونرى عالم بلا همفنة ومآآمع دون آفاوت واقآصاء من غير آمففز وآفدفن بلا نفاق وأآلاق دون شرط وسفاسة آالفة من العنف والكذب؟

* كآب فلسفف

.....

المصدر

(كآب مآنة الإسلام فف مواهة عولمة الإرهاب، آألف ء زهفر الآوفلءف- صاءر عن ءار آكب - لءن- طبعة أولف- 2016- فآآوى على 406 من الصفآاء).

المرجع:

1) بفآر إنغلمان ، آلان باءفو و سلافو ففجفك ، الفلسفة فف الآضر، آرعمة فزن الآج ، ءار الآنوفر، طبعة أولف، 2013، ص 20

.....

* الآراء الوارءة لا آعبر بالضرورة عن رأف شبكة النباء المعلومآفة